

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

توطئة :

ننتقل الان بعد تقديم اهم النصوص التي بونت اخبار ما عرف باسم الحملة الصليبية الاولى الى تقديم اهم المتوفر من النصوص حول الحملة الثانية وهذا المتوفر ليس بغزارة ما تتوفر لنا عن الحملة الاولى ، انه نتاج اثنين من المؤرخين اللاتين ، رافق اولهما رحلة الحملة الثانية من الغرب ، وعاش ثانيهما عصر الحملة الثانية في الاراضي المقدسة .

وكانا قد كتبا اصلا باللاتينية مثل نصوصنا الثلاثة المتقدمة حول الحملة الاولى ، وكتب اولهما من قبل الراهب اودو اوف بويل الذي كان بمثابة الراهب الخاص بالملك الفرنسي لويس السابع ، ولدى قراءتنا لنص الكتاب يمكننا التعرف الى شخصية هذا الراهب والى دوره الذي شغله اثناء الاعداد للحملة الثانية ، وخلال مرافقته ، ومواده وثائقية المعلومات عظيمة التفاه بيل ، لكن فيها بعض الثغرات ، ولغة الراهب اودو التي بون بها اخباره تعدل في كثير من الجوانب بصعوبة التعامل معها ، لغة الاميرة انا كومينا ، وقد بذلت جهدي في النقل الامين الى العربية والتعليق والضبط .

ويمكن تدارك نواقص اخبار اودو وسد ثغرات كتابه بالاعتماد على ما كتبه وليم رئيس اساقفة صور في كتابه العسلاق « تاريخ الاعمال المنجزة فيما وراء البحار » وقد ولد ولبم - كما هو مرجح - في القدس سنة ١١٣٠ م من ابوين اوربيين نزحوا الى

الاراضي المقدسة في ركاب الصليبيين ، وقد عاش سني حياته الاولى في القدس ، وتعلم في مدارسها : اللاتينية والعربية واليونانية والعبرية والفارسية ، ودخل في خدمة الكنيسة وتلقى التدريب الكهنوتي وتدرج مترقيا فيما بعد في المناصب الكنسية كما سافر الى فرنسا لمتابعة تحصيله وزار القسطنطينية ، وفي سنة ١١٦٣ رسم وليم قسا في كنيسة صور ، وبعدها تسلم بعض الوظائف في هذه الكنيسة ، وكان ملك مملكة القدس الصليبية انذاك عموري الاول (ولد سنة ١١٣٥ ، وحكم مسابيين سنتي ١١٦٣ - ١١٧٤ م) وقد عاصر هذا الملك نور الدين الشهيد وخطط للاستيلاء على مصر ، وحين شرع في تنفيذ مخططه رأى ان اخذ مصر لايقبل شاننا عن اخذ الصليبيين للقدس ، لذلك اراد ان يؤرخ لهذا الحدث الخطير ، فقرر توظيف مؤرخ خاص به يرافقه في حملته ، ووقع اختياره على وليم فعينه رئيسا لاساقفة صور وعهد اليه بوظيفة التاريخ ، وأدى هذا التكليف الى قيام علاقات وثيقة بين وليم وإلاط القدس ومشاكله السياسية وسواها .

وانتقلت محاولة عموري في احتلال مصر وتوفي وخلفه ابنه بلدوين الرابع ، وكان صبيا في التاسعة من عمره وعهد الى وليم القيام بتربية الملك الطفل ، وبعد اربع سنوات من التربية اكتشف وليم ان تلميذه مصاب بمرض الجذام ، وظل وليم يرافق الملك المريض حتى سنة وفاته في ١١٨٥ م ، وهي السنة التي توفي فيها وليم ايضا ، اي قبل حطين بحوالي العامين . وفي ايام بلدوين الرابع قام صراع شديد بين القوى الصليبية حول الوصاية على عرش القدس ، وقد تورط وليم الصوري فيه وشغل ابوارا هامة جدا ، وكان في هذه الاثناء قد توفي نور الدين وظهر صلاح الدين ، وبدأت خططه الكبرى تتضح معالمها واهدافها .

وكان وليم اول ما كلف بوظيفة المؤرخ للملك عموري قد شرع سنة ١١٦٧ م في كتابة كتاب دعاه باسم « اعمال عموري » واثناء عمله عدل في خطته بحيث اضاف مقدمات ارضت لتاريخ الفرنجة

قبله ، وبعد هذا ايضا عدل الخطة ثانية بان مد المقدمات بحيث جعلها تؤرخ للمسيحية وعلاقتها بالاسلام ، وبعد وفاة عموري اضاف وليم الى هذا الكتاب معلومات عن الحوادث التي وقعت ، وغير اسم الكتاب بحيث اصبح يعرف باسم « تاريخ اعمال انجزت فيما وراء البحار » .

ان مواد هذا الكتاب تقسم الى قسمين : قسم استقى وليم معلوماته فيه من مصادر مختلفة بعضها عربي وجلها لاتيني حيث انه عمد الى جميع كتابات المؤرخين اللاتين الذين تقدموه وادخلها في كتابه ، واما معلومات القسم الثاني فقد عاصر وليم احداثها ، وقام برواية اخبارها عن شهود عيان ان لم يكن هو قد شارك فيها ، وبذلك يرقى بهذا القسم الى درجة الوثائقية ، انما من وجهة نظر خاصة .

ان تاريخ وليم الصوري بالرغم من مصادره المبكرة ، هو افضل ، لابل اكمل ، مصدر لاتيني ارخ للحروب الصليبية يجد فيه الباحث سردا مسلسلا ، لكاتب قدير ، لاحداث هذه الحروب حتى قبيل حطين لذلك لاقى هذا الكتاب عناية كبيرة ، وجرت محاولات لنشره وترجمته الى اللغات الاوربية الحية .

لقد عد وليم عن جدارة المؤسس للادب الغربي للتأريخ للحروب الصليبية ، ولهذا السبب قام الذين ارخو للاحداث بعد وليم بالتنزيل على كتابه الى حد قيل فيه ان كتاب المؤرخ الفرنسي الكبير غروسية عن الحروب الصليبية ما هو الا كتاب وليم ونيوله بلغة فرنسية معاصرة .

وكنت قد نقلت كتاب وليم الى العربية ونشرته منذ مايزيد على العامين في بيروت ، وانتقيت هنا بعض نصوصه عن الحملة الثانية وليس جميع ما كتبه .

وكان وليم قد صنف كتابا ارخ به للاسلام والمسلمين ، اعتمد فيه بشكل اساسي على تاريخ سعيد بن البطريق وعلى عدد من الكتب العربية كان الصليبيون قد نهبوا من مكتبة الفارس الشاعر المؤرخ اسامة بن منقذ اثناء عوبته من مصر الى الشام مع محتويات مكتبات عربية اخرى ، ويعد هذا الكتاب بحكم المفقود .

وطبعا انها المرة الاولى التي تنقل فيها هذه النصوص الى العربية ، واملي كبير في ان اقدم في المجلد المقبل النيل الاول لتاريخ وليم الصوري مع دراسة اكايمية حول اشكاليات نيول هذا التاريخ .

والله الموفق ، ومنه استمد العون والرشاد والصلاة والسلام على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم.

دمشق ٢٨ / ٤ / ١٩٩٣

سهيل زكار

كتاب

« رحلة لويس السابع إلى الشرق »

تأليف

أودو أوف دويل

رسالة أودو

إلى

صاحب الغبطة الأب سوكر

الى سوكر (١) راعي كنيسة القديس بيذس ، أوف
ديويل .

لاحقر رهبانه ، يبعث بتحياته

يطيب لي ان ابين لك بعض الحقائق عن الصليبيين ، مع تطلي إليك
كي تضفي عليها صفة الديمومة بالكتابة ، حيث لا يمكنني القيام
بذلك ، بسبب انشغالي في صعوبات الرحلة ، ويعيقني عن أداء ذلك
التعب ، والانتقاص للمهارة ، ومع ذلك يتعين علينا أحيانا أن نحاول
المستحيل ، لكي نحث مساعي رجالنا الأكفاء على القيام بالمهمة
التي نود تأديتها ، لكننا لا نقدر على ذلك ، ثم بما أنني نعمت بفضل
الملك لويس الواسع الشهرة (٢) وكنت معه وعلى صلة وثيقة به
ابان الحملة الصليبية ، فأنني اتوق لكي اعرب له عن تمنياتي ، بيد
ان قواي واهنة ، لذا سادع هذه المهمة تناط بالقديس بيذس ، الذي
لحبته تكرم الملك باغداق فضاله ، ولحبتكم ايضاً ، لانكم رعيتم
راهبكم وتقبلتموه كقبولكم لانفسكم بالذات ، والاكثر من ذلك فإذك
أنت مدين له بالكثير من جانبك ، لانه فضلك بشكل خاص في
مملكته ، وعند مغادرته لها لمدة من الزمن عهد لك بأمر تلك المملكة
(٣) مدفوعاً بالحماس والغيرة في بسط الايمان ونشره ، وبذلك
إنما يحمي مصالحه الذاتية عندما وضع ثقته برجل أثبت ولائه ،
وتحليه بالحكمة الفريدة من نوعها .

لقد كنت قد سجلت مناقب والده (٤) ، وإنه لمن الجريمة بمكان أن
تخدع الفروع بمعرفة الابن الذي تعتبر حياته برمتها نموذجا
للفضيلة ، لأنه عندما تربع على العرش ، ولم يكن قد صاب عوده
بعد ، لم يجلب له ذلك الشعور بالفخار ، بل زاد رغبته واندفاعه إلى
الفضائل .

وإذا ما بدأ أي كان بالحديث عن سيرته منذ زمن الرحلة إلى
القدس فقط ، فإنه سيقطع الجزء الأكبر من المثل النموذج الذي
وضعه الله للملوك ليحذو كل منهم حذوه في المستقبل ، حيث « أننا
نعجب باليوم الرابع والسادس لطهارة نيقولا والسماوات الأخرى
عندما كان طفلا ، أكثر مما نعجب بقدسيته ككاهن ، أي بقدسيته
الرائعة كأسقف » (٥)

ترى هل ستبدأ إذا بالكتابة عن حادثة سن الابن الذي تتشرف
بالكتابة عنه ، طالما سبق لك وأذعت شهرة الأب في الأدب ، وطالما
أنك مدين لهما بالاحترام ، ابدأ بسيرته منذ كان طفلا يافعا ، حيث
بدأت فضائله تزدهر ، كما تعلم أنت ذلك جيدا ، لأنك كنت معلمه
الخاص . والآن مع أنني أفقّر للأسلوب ، ولكن ليس لمعرفة
الأحداث التي وقعت أثناء الحملة الصليبية ، لأنني كنت في أغلب
الأحيان حاضرا عندما كان ينطلق للعمل ، وعندما كان يعود ، ذلك
أنني كنت قسيسه الخاص ، لذا فإنني والحال كما ترى سأزودك
بشكل مختصر بالحقائق التي يجب أن تزخرف ببلاغتك الأدبية ، فلا
تتردد بالقيام بواجبك ، حتى ولو سمعت بأن هذه قد تبليت من قبل
الكثيرين .

ابتهج وكن شكورا ، إذا ما نال الذي يستحق الثناء من الناس
جميعا ، ثنائهم ومديحهم فعلا (٦)

انتهت الرسالة